# موقف «رينيه ديكارت» من الدِّين

## (عرض ونقد)

**د. عبدالقادر بن محمد الغامدي**

كلية الآداب والعلوم بقلوة - جامعة الباحة

# موقف «رينيه ديكارت» من الدِّين
## (عرض ونقد)

د. عبدالقادر بن محمد الغامدي

**الملخص:**

يعرض البحث موقف "ديكارت" من الدين، مع التوسع قليلاً في موضوع الدين الأهم؛ وهو الذات الإلهية، وبخاصة أن ديكارت قد نُعت بأنه: "أبو الفلسفة الحديثة"، وهذا يعني تأثيره على الفلاسفة المحدثين من بعده، ومناقشة ذلك، وبيان ما في منهجه من صواب يشاد به، وما فيه من قصور، وبيان أثر منهجه على من جاء بعده، وحاجة إبراز منهجه للمثقفين اليوم. وبالله التوفيق.

**الكلمات المفتاحية:** الدين- ديكارت- الفلسفة.

# Descartes' Situation of Religion, Presentation and Criticism


## Abstract:

The current research presents Descartes' situation of religion, with a slight expansion in the theme most important of the religion; the divine ego, essentially Descartes has been called "the father of modern philosophy" it means that he had great influence on the modern philosophers, discussing this, illustration of right reasoning and the shortcomings in his approach, and the impact of his approach on those who came after him, and the need to show his approach for the today's scholars.

God is the lord of success.


**Key words:** Religion, Descartes, Al-falsafh.

## المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد؛

فإن حاجة الخلق للدين فوق كل حاجة، ولا صلاح لهم إلا به، والدين ومنه ما يسمى في مصطلح الفلسفة (الميتافيزيقا)، أو ما وراء الطبيعة، لا طريق لليقين فيه إلا عن طريق الأنبياء عليهم السلام؛ لأنه غيب، والعقل لا يمكنه أن يستقل بمعرفة الغيب إلا القليل منه إجمالا، لذلك اعترف أساطين الفلاسفة كأفلاطون[1] وغيره عقول البشر لا توصلهم فيه إلى اليقين. والدين الحق غير المحرف هو من الله سبحانه، فهو حق، ويستحيل أن يعارضه العقل السليم، أو الحس والحقيقة العلمية، أو الفطرة، وإن كان الدين قد يأتي بما يحار فيه العقل، ولكنه لا يأتي بما يحيله العقل.

والعقل مفتقر إلى الدين، ولما رجع الناس في أمور الإلهيات إلى العقول ضلُّوا، واختلفوا أكثر اختلاف وجد على وجه الأرض، فالعقل بدون الوحي الذي يأتي به الأنبياء عليهم السلام اكالبصر بدون الضوء، لا يرى شيء، والموقف الحقيقي للعقل بالنسبة للدين الحقَّ هو أنه تابع له، ومحتج ومؤيِّد وخادم له، لا يعارضه، ومستنبط منه العلل والحكم، ومتدبِّر ومتفقه، فوظيفته مع الدين بيانية لا إنشائية، فلا استقلال له عن الدين ولا يقدم بين يديه. وللعقل وظيفة الاستدلال على وجود الخالق، ووحدانيته، وصدق الرسول وصحة نبوته، فالعقل يولِّي الرسول ثم يعزل نفسه فلا يعارضه.

وهكذا كان العقل مع الدين إلا أن الكنيسة بسبب ما أدخلته في الدين من تحريف وبدع مستحدثة؛ سببت نفور العقل، وصراعًا كبيرًا بين العقل والكنيسة؛ فبعد أن كان موقف العقل والعلم من الدين ما قدمنا، أصبح العقل والعلم المادي يناقضان الدين الممثل في الكنيسة وينافسانه، ثم غلب العقل على الدين المحرَّف، وانتشر الإلحاد، ولم يطرأ على العقل الغربي أن ما في الكنيسة دين محرَّفٌ، وأن الباطل الذي فيها ليس من عند الله، فحصل الشك والعلمانية في أوروبا، وبلغ ذروته في الإلحاد.

فلمَّا جاء ديكارت أحدث فلسفة جديدة، تأثر فيها بالمسلمين، كما تشير إلى ذلك دراسات حديثة كثيرة(٢). وأُطلق عليه (أبو الفلسفة الحديثة) وهذا يعني أن جلَّ الفلاسفة في أوروبا بعده تأثروا بفلسفته. ولمكانته الكبيرة في أوربا كان هذا البحث لتبيين موقفه من الدين، وما أحدث ذلك في أوروبا من تغيير، ونقد منهجه بعون الله تعالى، للحاجة إلى نقد هذه المذاهب على ضوء الإسلام والعقل السليم، ولكثرة الدراسات التي تظهر الإلحاد، وقلة الدراسات التي تدافع عن الدين من جهة فلاسفة أوروبيين.

## أهداف البحث:

يهدف البحث إلى إظهار دور من كان يرد على الملحدين، ويدافع عن الدين من كبار الفلاسفة الأوروبيين، والنظر في حججهم في الرد على الملحدين. وبيان أنَّ أحسنهم موقفا من الدين –أو من أحسنهم– وهو ديكارت الذي يعتبر أبو الفلسفة الحديثة، لا زال بعيداً عن الدين الحق، وبيان حاجتهم إلى الإيمان بخاتم النَّبيِّين محمد صلى الله عليه وسلم، والانتفاع بما جاء به من الهدى ودين الحق. ورغبة وحثًّا للأُوربِّيين لتطوير صواب ديكارت وترك أخطائه، وتحذيراً أيضا للمسلمين من التأثر به، وبيان استغنائهم عنه.

## منهج البحث:

منهجي في البحث هو المنهج الوصفي النقدي، وقد رجعت لكلام ديكارت مباشرة من كتبه، وأكثرت من النقل عنه، ليعرف أسلوبه، ثم بيان ما أصاب فيه وما أخطأ، في ضوء النقل والعقل وعلى منهاج أهل السنة والجماعة.

## الدراسات السابقة:

كُتِبَ في أوروبا وفي الشرق كتب ومقالات كثيرة لا تحصى حول ديكارت، لكن لم أجد دراسة مفردة تتناول موقفه من الدين خصوصًا على منهاج أهل السنة والجماعة، وهو الجديد في البحث، لحاجة الناس الملحة إلى مثل هذه الدراسات خاصة هذه الأيام.

**خطة البحث:**

وقد اقتضت مادة البحث أن يكون في هذه المقدمة، وأربعة مباحث:

**المبحث الأول**: ترجمة ديكارت، ومكانته في أوروبا، ومؤلفاته.

**المبحث الثاني**: الموقف من الله ووجوده في فلسفة «ديكارت».

**المبحث الثالث**: تعظيم «ديكارت» للدِّين.

**المبحث الرابع**: أدلة وجود الله عند «ديكارت».

ثم الخاتمة، ومن الله أستمد العون والتوفيق والتسديد.

## المبحث الأول: ترجمة «ديكارت»، ومكانته في أوروبا، ومؤلفاته

«رينيه ديكارت»، فيلسوف فرنسي كبير، ولد في (٢ شعبان ١٠٠٤هـ) الموافق (٣١ مارس ١٥٩٦م) في لاهي وهي بلدة صغيرة غرب فرنسا، وتوفي في (٩محرم ١٠٦٠هـ) الموافق (١١ فبراير ١٦٥٠م)، وتلقى تعليمه في كلية «لافليش» اليسوعية، وقد ضلَّ يحتفظ لأساتذته فيها بإعجاب شديد، لكنه لم يرضَ عمَّا فيها من مقرَّرات دراسية حينما تبين أنها في معظمها لا تخرج عن كونها تلقينا لآراء القدماء ولا تورث معرفة يقينية، وأن الرياضة هي العلم الوحيد الذي يقدم معرفة يقينية(٣).

ويعد «ديكارت» رائد الفلسفة في العصر الحديث، وركنها الثاني مع «فرانسيس بيكون»(٤)، وفي الوقت نفسه كان رياضياً ممتازاً؛ ابتكر الهندسة التحليلية، وكثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده، هي انعكاسات لأطروحاته، والتي ما زالت تُدْرس حتى اليوم؛ فكان بذلك من الشخصيات الرئيسية في تاريخ الثورة العلمية. وديكارت هو الشخصية الرئيسية لمذهب العقلانية في القرن ١٧م(٥).

يُلقَّب «ديكارت» بـ«أبو الفلسفة الحديثة»، وأول من وصفه بهذا الوصف ، فلاسفة الألمان وعلى رأسهم «هيجل»(٦) و«شلنج»(٧). ويقول «برتراندرسل»(٨): (يعتبر «رينيه ديكارت» عادة مؤسس الفلسفة الحديثة، وبحق كما أظن)(٩). وقال «هيجل»: (إن «رينيه ديكارت» هو في الواقع المحرك الأول الحقيقي للفلسفة الحديثة)(١٠).

عرض «ديكارت» أسس فلسفته الجديدة سنة ١٦٢٨م على أنَّها تؤلِّف فلسفة مسيحية منافية لفلسفة «أرسطو» والقديس «توما الأكويني» فأعجب به الكاردينال، وكان أوغسطينياً، وشجعه تشجيعاً حارًّا على مواصلة بحثه، وإتمام فلسفته خدمة للدين، وصداً لخدمات الزنادقة، يقول «يوسف كرم»: (وهذه واقعة لها خطرها، ندرك منها أن العلم الطبيعي الرياضي أو الآلي صرفه عن «أرسطو» إلى «أفلاطون»، وأنه تأثر –ولو بالواسطة– بالأفلوطينيين المسيحيين، فلن نعجب إذا وجدنا عنده شيئاً من القديس «أوغسطين»، وشيئاً من القديس «انسلم» وشيئاً من «سكوت» وشيئا من «أوكام» وغيره من الإسميين(١١).

وفي الموسوعة الفلسفية المختصرة[١٢]: (ليس هناك أدنى شك في أنه كان مخلصاً لعقيدته الكاثوليكية، فقد كان يعتقد أن فلسفته على وفاق مع الإيمان، وأنها هي الطريق الوحيدة للتوفيق بين الإيمان وما أُحرِز في عصره من نتائج التقدم في المعرفة الطبيعية).

وكان لفلسفة «ديكارت» أعمق الآثار في مختلف أنحاء أوروبا. إبان القرن الثامن عشر[١٣]. تقول الكاتبة «جنفياف روديس لويس» واصفة أثر «ديكارت» على الغربيين والبيئة الغربية: (ولقد احتفل بالذكرى المئوية الثالثة لظهور «المقالة في المنهج» عام ١٩٣٧، في العالم بأسره، احتفالًا اسثنائيًا، لم يجر مثله لمقالة فلسفية أخرى)[١٤].

ومن أهم ما قدمه «ديكارت» لأوروبا[١٥] تخليص العقل من نير التقليد المحض، ونبذ الكثير من خرافات الكنيسة، وما أدخلته في الدين وليس منه، مما سبب الإلحاد والشك. وإعطاء العقل شيئا من حقوقه. وتخليص أوروبا من الشك في وجود الله والنفس إلى اليقين. وإبعاد فلسفة «أرسطو» ومنطقه عن الكنيسة ومحاربته ودحضه. يقول الشيخ مصطفى صبري: (فجاء ''ديكارت'' فألغى ثنائية العقل والإيمان، باطراح الإيمان[١٦] وإعادة حقوق العقل إليه، وخلصه من الحسبانية قاضيًا على الشك بسلاح من الشك فابتدأ به دورًا جديدًا، وانتهت القرون الوسطى التي جعلت الإيمان أصلا في اليقين والعقل تابعا له، فكان ذلك ضربة على النصرانية طبعا)[١٧].

## مؤلفات «ديكارت»:

«كتاب العالم»: ذكر «ديكارت» أنه أنفق بعض السنين في الدرْس في هذا الكتاب[١٨]. ويقول عنه: (ولما كنت قد اجتهدت في شرح أصول تلك الحقائق في رسالة منعتني بعض الاعتبارات من إذاعتها)[١٩]، يقول محمود الخضيري محقِّق كتاب «مقال عن المنهج»: (يقصد كتابه العالم.. وكان قد بدأ الكتابة فيه في أواخر عام ١٦٢٩). والذي منعه من إذاعته خوفه من بطش الكنيسة. يقول «ديكارت»: (مضت الآن ثلاثة أعوام منذ انتهيت من الرسالة التي تحتوي على كل هذه الأشياء، وأخذت مراجعتها كي أضعها بين يدي طابع، عندما علمت أن أشخاصًا أجلَّه، ولهم السلطة على أعمالي ما لا يقل عمَّا

لعقلي من السلطة على أفكاري، لم يقروا رأياً في علم الطبيعة أذاعه البعض[٢٠] قبل الآن بقليل. ولا أريد أن أقول أني كنت على هذا الرأي، لكني أريد أن أقول: إنني لم ألاحظ فيه قبل استنكارهم، ما أستطيع أن أتوهمه مضرًّا بالدين أو بالدولة)[٢١]. وهذا يعني أن ديكارت يريد التمييز بين ما يراه حقًّا في الكنيسة وما يراه باطلا، وأنه استخدم عقله في التخلص من بعض خرافات الكنيسة. ولكن ذكر سبب عدم نشر كتابه هذا، وهو علمه بما أصاب «جاليليو»، ورغبته في عدم إثارة رجال الدين عليه، الذين كانوا يعارضون بشدة وببطش كل ما يعارض طبيعيات «أرسطو» الكاذبة. وقد نشره فيما بعد وطبع[٢٢].

«مقال عن المنهج» وأسماه هو: «مقال في المنهج لحسن توجيه العقل والبحث عن الحقيقة في العلوم»[٢٣]، وهو أول كتبه، وقد ذكر في كتابه «التأملات» ما يبين ذلك، يقول في «التأملات»[٢٤]: (وقد تقدمت في ذلك «المقال في المنهج» بالرجاء إلى جميع من قد يجدون فيما كتبت ما يستحق النقد أن يتفضلوا بتنبيهي إليه).

«تأملات في الفلسفة الأولى» يقول «ديكارت» في سبب تأليفه: (وقد تنبأت بما قد يجده كثيرون من صعوبة في تصور أسس الميتافيزيقا، حاولت أن أشرح أهم مباحثها في كتاب «تأملات»[٢٥] ليس في الأصل كبيرًا، ولكن زاد حجمه واتضحت مادته كثيرًا بما أضيف إليه من اعتراضات؛ أرسلها إلي بصدده أشخاص كثيرون من المتجرين جدًّا في العالم، ومن ردود قيَّدتها على تلك الاعتراضات)[٢٦]. وكان رد فيه على الهجمات والاعتراضات التي وردت عليه من اللاهوتيين واليسوعيين.

«مبادئ الفلسفة» وهذا كتابه الرئيسي في الفلسفة؛ أهداه للأميرة «إليزابث» كبرى بنات «فردريك» ملك بوهيما. وكتب الإهداء لها في مقدمته.

ويقول «ديكارت»: (وأخيرًا لـمَّا بدا لي أن تلك الرسائل السابقة قد مهَّدت أذهان القراء لتلقي مبادئ الفلسفة؛ رأيتُ أيضًا أن أنشر هذه «المبادئ»)[٢٧]. وكان بين تأليف «مقال عن المنهج «وهذا الكتاب قريب من اثني عشر سنة.

«انفعالات النفس»[٢٨]، طلبت منه كتابته الأميرة «أليزابت»، وهو آخر كتاب أصدره في حياته؛ يتكلم فيه عن انفعالات النفس من غضب وحزن ورضا وفرح ونحوها. وبيَّن فيه مذهبه في الأخلاق.

## المبحث الثاني: الموقف من الله ووجوده في فلسفة «ديكارت»

جعل «ديكارت» اليقين في وجود الله أعظم من أعظم يقين في الوجود، هندسيًّا أو غيره، وفيه دمغٌ للملحدين؛ يقول «ديكارت» عن حجج وبراهين وجود الله تعالى أنها: (تعادل بل تفوق في اليقين والبداهة براهين الهندسة)[٢٩]، ويقول: (أعتقد أن النفس الإنسانية لا تستطيع أن تعرف ببداهة ويقين أكثر مما تعرف وجود الله)[٣٠]. ويقول: (الفكرة التي لدي عن الله أصح ما بذهني من أفكار وأكثرها وضوحًا وتميُّزًا)[٣١]. ويقول عن أدلة وجود الله تعالى، وأدلة وجود النفس أنها: (أوثقُ وأبينُ ما يمكن أن يقع للذهن الإنساني من معرفة)[٣٢].

ويقول: (كون الله الذي هو هذا الموجود الكامل، موجوداً هو على الأقل مساوٍ في اليقين لخير ما يمكن أن يكون برهاناً هندسياً)[٣٣]؛ وذلك لأنه يرى استحالة موصوف له كل الكمالات وهو غير موجود؛ لأن هذا تناقض ظاهر. فقد جعل ديكارت من الدليل على وجود الله الخطوة الأولى والأساسية لعلم الطبيعة.

وقد جعل «ديكارت» أيضاً وجود الله تعالى وكماله أساس كل يقين، ومصدر العلم الأسمى، وهذا مما عد من تفردات «ديكارت»، فهذا بخلاف كل الفلسفات التي كانت قبله، والتي كانت تجعل الطبيعيات سابقة على الميتافيزيقا[٣٤].

بل لم يبق لـ«ديكارت» في منهجه دليل لليقين بشيء إلا إثبات الكمال لله تعالى، وهو ما يسمى في منهجه بـ«السند الإلهي لصحة الحقائق التي نتخيلها»؛ وذلك أنه شك في كل شيء، حتى في التفريق بين المنام واليقظة؛ وذلك عنده لأن الإنسان يرى في المنام أشياء كأنها حقيقة، فيرى «ديكارت» أنه لا مانع أن يكون ما يراه في اليقظة هو مجرد منام فقط[٣٥]. ويرى أن الله قادر أن يضلَّه في هذا؛ لكن يرى «ديكارت» أن الله تعالى له كل

الكمالات فيستحيل عليه أن يخدعنا. فاستحالة وصف الله بالخداع عند «ديكارت» هو دليل صحة الحقائق، يقول: (هذا الإله لا يمكن أن يكون مضلًّا؛ لأنه كامل)[٣٦]. فسند اليقين عند «ديكارت» هو وجود الله وكونه غير مُضِلّ.

ويقول «ديكارت»: (من المحال أن يضلَّني الله؛ إذ أنَّ في الخداع أو الغش نقصًا، ولئن يكن يبدو أن استطاعة المخادعة من علائم البراعة والقوة؛ فلا جرَم أن تعمُّد المخادعة دليل على الضعف أو على الخبث، وهما أمران لا يمكن أن يوجدا في الله)[٣٧][٣٨].

فالمقصود أن ديكارت جعل كمال الله تعالى، وعدم مخادعته هو أساس اليقين في كل علومه البشرية.

ويقول «ديكارت»: (مما يتنزَّه الله واسع الكرم والرحمة [عنه]: أن يكون قد خلقني عرضة لضلالٍ مقيم)[٣٩]، فثقة ديكارت في الله وحسن ظنه به هو ما بقي له من أدلة ينطلق منها لليقين، فجعل الله تعالى (هو المصدر الأعلى للحقيقة)[٤٠]، و(منبع كل حقيقة)[٤١]. ويقول: (وجود الله ليس يقينا فحسب، بل من الحق أن يقال: إن كل يقين إنما يعتمد عليه)[٤٢]. ويقول: (أنا أتبيَّنُ تبينًا واضحًا جدًا أن يقين كل علم وحقيقته يعتمدان على معرفة الله الحق وحدها)[٤٣]. ويقول أيضاً: (وضح لي كلَّ الوضوح أن يقين كل علم وحقيقته إنما يعتمدان على معرفتنا للإله الحق؛ بحيث يصح لي أن أقول: إني قبل أن أعرف الله ما كان بوسعي أن أعرف شيئًا)[٤٤].

فالله سبحانه وتعالى عند «ديكارت» هو أساس كل وجود، وأساس كل يقين، يقول: (يقين البراهين الهندسية نفسه متوقِّف على معرفتنا بالله)[٤٥]. ويقول: (من جهِل الله، فلن يستطيع أن يعرف شيئا آخر معرفة يقينية)[٤٦].

ويطري الباحث «نظمي لوقا» موقف «ديكارت» هذا من وجود الله تعالى فيقول: (إنه يجعل من معرفة الله أساساً لمعرفة العالم، وأساساً للحق والخير إطلاقاً، ومحوراً للفضيلة، ثم قطباً تتجه إليه النفس، مجنَّدة كل عناصرها ومدربة على الائتمار والطاعة، بدافع من حبها وعرفانها لمصدر الوجود، وواهب المعرفة، وباري الخير بإرادته الكاملة.

وإنه ليحتمي في الله من الشكِّ، كما يحتمي من تمرُّد الوثني الذي ينكر العجز، ويسخر بالخير والشر جميعًا، كما يحتمي من تسليم الرواقي الذي إن هو إلا ثورة مقلوبة، وسخط تخفيه الكبرياء)[٤٧].

ومع هذا؛ إلا أن منهج ديكارت هذا يلاحظ عليه ملاحظات؛ منها:

**الأولى**: أن الله تعالى جعل هناك طرقاً للوصول إلى الحقائق الأخرى غير الميتافيزيقية، كأدلة الحس -ومنها التجربة والملاحظة والاستقراء- على المحسوسات، بل وبعض الغيبيات، وأدلة المتواترات، وكذا الأدلة العقلية القطعية. أو الرياضية، وكلها غير الطريق الذي ذكره ديكارت، فلو كان المتأمل فيها ملحداً، لا يقر بوجود الله تعالى لأمكن أن يصل فيها إلى يقين. فطرق المعرفة ليست محصورة فيما اعتقده «ديكارت» وإن كان توفيق الله تعالى هو سبب كل معرفة صحيحة.

**الثانية**: أن «ديكارت» قد حجَّر واسعًا؛ فلازم مذهبه وصف الله بأنه أضلَّ الخلق فيما يتعلق بالمحسوس، فإن ديكارت ينكر المحسوسات؛ ومن أقواله في ذلك: (لما كانت حواسنا تخدعنا أحيانًا، أردت أن أفرض أنه ليس من شيء في الواقع كما تجعلنا الحواس نتخيله)[٤٨]، ويقول: (كل ما يتعلق بطبيعة الجسم أحلام أو تخيلات)[٤٩].

فعلى مذهبه يكون الله -تعالى عن ذلك- شكك الخلق في المحسوسات، وفي كثير من الغيبيات، فلم يبق عنده يقين إلا في وجود الله ووجود النفس، والله تعالى منزه عن ظلم أحد، فإنه تعالى خلقنا ورزقنا وجعل لنا الأسماع والأبصار والعقول، بل أرسل لنا الرسل وأنزل علينا الكتب، إضافة إلى ذلك، وبين لنا طريق الحق من الباطل بأدلة يقينية لا تحتمل أدنى شك، والحمد لله رب العالمين.

## المبحث الثالث: تعظيم «ديكارت» للدِّين

كان «ديكارت» يعظم الدين -النصراني-، وقد سبق ذكر شيء حول ذلك في ترجمته، ومما قاله في ذلك: (وكنت أُجلُّ علومنا الدينية، وأطمع كغيري في الجنة؛ لكن لما علمت علمًا مؤكدًا أن الطريق إليها ليس ممهَّدًا لأجْلِ الجهلاء أقل مما هو ممهَّد لأعلم العلماء، وأن الحقائق الموحى بها والتي تهدي إلى الجنة هي فوق فهمنا؛ لم يكن لي أن أجرؤ على أن أسلِمها لضعف استدلالاتي، ورأيت أن محاولة امتحانها امتحانًا موفقًا تحتاج لأن يُمدَّ الإنسان من السماء بمددٍ غير عادي، وأن يكون فوق مرتبة البشر)(٥٠).

ويقول: (هذه الأمم لا تكون حاصلة على نظام يبلغ من الأحكام مبلغ ما عند الأمم التي منذ بدأ اجتماعها، قد اتبعت شرائع مشرّع حكيم، كذلك يكون جد يقين أن هيكل الدين الصحيح، الذي شرع الله وحدَه أحكامه، يجب أن يكون خيراً في النظام من كل ما عداه، إلى الحد الذي لا يبارى)(٥١).

وكان «ديكارت» يوصي بقضية الدين، يقول: (لن يجمُل بي في هذا المقام أن أطيل الكلام في التوصية بقضية الله، وقضية الدين لدى من كانوا دائمًا أمتن دعائمها)(٥٢).

وهو متمسك بالدين الذي نشأ عليه، يقول: (حقائق الإيمان لها دائما المنزلة الأولى في اعتقادي)(٥٣)، ونوى من بداية تأسيس منهجه(٥٤) كما يقول: (المحافظة على الديانة التي أنعم الله بها عليَّ؛ بأن نشأت فيها منذ طفولتي)(٥٥).

ويقول مقرّرا عقيدته -النصرانية-: (يجب علينا أن نؤمن بكل ما أنزله الله، وإن يكن فوق متناول مداركنا؛ فإذا أنعم الله علينا بما كشفه لنا أو لغيرنا من أشياء تُجاوز طاقة عقولنا في مستواها العادي، كأسرار التجسُّد والتثليث، لم يستعصِ علينا الإيمان بها مع أننا قد لا نفهمها فهمًا واضحا؛ ذلك لأنه لا ينبغي أن يقع لدينا موقع الغرابة أن يكون في طبيعة الله، وفي أعماله أشياء كثيرة تُجاوز متناول أذهاننا)(٥٦).

وقد صرح «ديكارت» بإبعاد العقل فيما يتعلق بالعقيدة؛ يقول: (ننأى بأنفسنا دائمًا عن الخوض في المجالات التي تدور حول اللامتناهي. إن مما لا يقبله العقل أن نتصدى له ونحن متناهون، لتحديد شيء عنه، وكأننا بهذا نفترضه متناهيا)(٥٧).

ويقول: (ينبغي أن نفضل الأحكام الإلهية على استدلالاتنا، ولكن فيما عدا الأشياء المنزلة ينبغي أن لا نعتقد شيئا لم ندركه إدراكًا واضحًا جدًّا؛ ينبغي قبل كل شيء أن نستمسك بقاعدة تعصمنا من الزلل؛ وهي أن ما أنزله الله هو اليقين الذي لا يعدله يقين أي شيء آخر. فإذا بدا أن ومضة من ومضات العقل تشير إلينا بشيء يخالف ذلك، وجب أن نُخضع حكمنا لما يجيء من عند الله. أما الحقائق التي لم يرد عنها شيء في التنزيل فليس مما يتفق مع طبع الفيلسوف أن يسلِّم بصحة شيء لم يتحقق منه، ولا أن يركن إلى الثقة بالحواس، أي: أن يكون اطمئنانه إلى ما تلقاه في طفولته من أحكام هو جاء أكثر من اطمئنانه لما يقتضي به العقل الناضج)(٥٨).

ففرق «ديكارت» بين اللاإلهيات، وبين غيرها، فلم يخضع الإلهيات لمنهجه العقلي، ويلاحظ أنه خلط الحق بالباطل، فالذي لا يجوز للعقل الخوض فيه في جانب من لا أول له ولا آخر -وهو ما يسميه أللامتناهي- هو كيفية صفاته وأفعاله، وتعليل شرائعه تعالى الغير معقولة المعنى، فلا يجوز إنكار ما يأتي منه تعالى إذا صح ذلك ولو حار فيه العقل. لكن الدين الحق يستحيل أن يأتي بما يحيله العقل، وما يقطع العقل السليم ببطلانه، وهو ما وقع فيه «ديكارت» كاعتقاد التجسد والتثليث، وغيرهما من العقائد النصرانية الباطلة. وهو يدل على أن تمسكه بهذه العقيدة إنما هو تعصب وتقليد أعمى، وإلا فإن الحق من أي مصدر جاء لا يمكن أن يعارض حقًّا جاء من مصدر آخر، فصريح المعقول يوافق دائما صحيح المنقول، والحقيقة العلمية لا تعارض أيضًا صحيح منقول ولا صريح معقول، وكذا الحس والفطرة، وهذه لم يهتد بها إلا من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، فسلم من التناقض وازدواجية المعرفة والشك والحيرة والقلق والعبودية للخلق والحمد لله. لكن المقصود أن العقيدة النصرانية تعارض العقل السليم في كثير من عقائدها.

وقد استنكر على ديكارت إدخال مثل هذه المسألة في كتاب فلسفي؛ يقول د. عثمان أمين: (ربما بدت هذه التصريحات الديكارتية عن أسرار العقيدة المسيحية مجاوزة بعض الشيء لما ينبغي في كتاب فلسفي وعلمي، يحاول صاحبه أن يبين أن كل ما في العالم يستطاع تفسيره، دون أسرار عن طريق القوانين الطبيعية. ولكن ديكارت كان شديد الفزع من رقابة الكنيسة وغضبها)(٥٩).

إذاً العقائد الباطلة التي يؤمن بها «ديكارت» تعارضت مع منهجه العقلي، فأخرجها عن ذلك، وليس سببه في نظري هو «الشك المنهجي» الذي انتهجه، ولا عدم إخلاصه للكنيسة، لألا يظن التناقض –بين كونه يعظم الدين، وبين كون منهجه سبب العلمانية والإلحاد– لكنه بسبب ما في الكنيسة من انحراف وتناقض، ومناقضة للعقل السليم القطعي، بسبب ما أدخل فيه من الخرافة. فلم يفرِّق «ديكارت» بين قبول ما يحار فيه العقل، وبين ما يحيله العقل من الدين المحرف؛ لأنه تَبيَّن أن طرْد منهجه الشكي العقلي، سيجعله يكفر بدينه النصراني بسبب ما فيه مما يناقض العقل. لذلك رأي كثير من المفكرين الغربيين أن مذهب «ديكارت» هو سبب الإلحاد، وأنه رائد للتنويريين وللثورة الفرنسية؛ لأنهم طردوا منهجه العقلي وآمنوا به فرأوا أن بعض عقائدهم تناقض ذلك.

فقرر «جون لويس» أن «ديكارت» أحل البحث الحر محل الخضوع للسلطة، والبرهنة العقلية محل الإيمان، وهو بذلك مؤسس فلسفة التنوير. وقال «بسكال» في خواطره: (لا أستطيع أن أغفر لديكارت، فقد كان بوده، في مجمل فلسفته، لو أنه استغنى عن الله، ولكنه لم يتمالك من أن يعترف له بضربة من اصبعه ليحرك الكون، وبعد ذلك صرف النظر عنه)(٦٠)، لذلك تطورت الديكارتية حتى أصبحت كما تنبأ «بوسوبه» وكما قال «كراكيولي»: (أخطر أعداء المسيحية)(٦١).

ويقول الدكتور أحمد السيد رمضان: (فكان من آثار الروح الديكارتية أن انطلقت الأذهان من عقالها، وأرادت أن تخضع للفحص والنقد كل شيء، وطالبت بتوخي البداهة حتى في الأمور التي لم تكن تتطاول إليها العقول؛ واستعملها أهل الجرأة من المفكرين سلاحًا لتقويض أسس الاعتقاد والإيمان)(٦٢).

وإذا علمنا أن العقل السليم لا يعارض النقل الصحيح، بل يحتج له ويؤيده، علمنا أنه لا خطر على الدين الحق من التفكير السليم. لذلك يقول الشيخ مصطفى صبري: (فظنَّ مقلدوا الغرب منَّا –الذين تعلموا الدين أيضًا رغم كونهم مسلمين– أن منهج «ديكارت» أضرَّ بدينهم كما أضرَّ بالنصرانية، وهم مخطئون في فهم موقف دينهم، وفي فهم حقيقة هذه الفلسفة. ففي خطأهم الأول أساءوا الظن بالإسلام، وفي خطأهم الثاني أساءوا الظنَّ بالعقل، واتبعوا فلسفة القرون الوسطى المتأثرة من المسيحية)[٦٣].

بل القرآن دعا إلى البحث عن التناقض، وتحدى أن يوجد ذلك فيه، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[النساء:٨٢]، قال ابن كثير: (أي اضطراباً وتضادًّا، وهذا سالم من الاختلاف)، ودعا القرآن إلى التأمل والتدبر بالعقول فيه، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[محمد:٢٤].

فكلما تأمل العقل السليم في القرآن عرف أنه الحق وأنه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤١-٤٢].

## المبحث الرابع: أدلة وجود الله عند «ديكارت»

من أكبر القضايا التي أشغلت الفلاسفة من قديم هي أدلة وجود الله، ولا شك أن العقول السليمة، والفطرة، والحِسَّ كلها أدلة على وجود الله تعالى، بل وجود الله تعالى هو أوضح الأدلة البدهية الظاهرة. فالفلاسفة إذاً أشغلوا أنفسهم بأمر بدهي، إلا أن بعض هذه الأدلة قد يحتاجها من فسدت فطرته(٦٤).

وقد أبدى ديكارت أدلَّة صحيحة في ذلك، ويرى أنه يجب أن يبرهن على وجود الله بالعقل وهو العقل الاستدلالي البرهاني؛ يقول: (لقد كان رأيي دائمًا أن مسألتي الله والنفس أهم المسائل التي تبرهن بأدلة الفلسفة خيرًا مما تبرهن بأدلة اللاهوت؛ ذلك وإن كان يكفينا نحن معاشر المؤمنين أن نعتقد بطريق الإيمان بأن هناك إلها.. فيبقى أنه لا يبدو في الإمكان أن تقدر على إقناع الكافرين بحقيقة دين من الأديان، بل وربما بفضيلة من الفضائل الأخلاقية إن لم نثبت لهم أولاً هذين الأمرين بالعقل الطبيعي)(٦٥).

ومع حاجة كثير من الخلق للأدلة العقلية الصحيحة، إلا أن في كلام «ديكارت» هذا ملاحظة خطيرة، وهي الظنُّ أن أدلة الوحي ليس فيها حجج عقلية، وهذا سببه ضعف أدلة وجود الله والرد على الملاحدة في كتب النصارى المقدسة، لذلك لم يجدها «ديكارت» كافية لإقناع الملاحدة؛ لذلك يرى «ديكارت» أن الأدلة التي جاءت بها الكنيسة لا يصلح عرضها على الملاحدة؛ لأنها تُشعرهم بوقوع الغلط وهو وقوع الدور الممتنع(٦٦)، وهذا سببه تحريف كتب الله الذي فعله رجال الدين، واعتمادهم على الفلسفة.

والحق أن الأنبياء عليهم السلام جاءوا بالأدلة النقلية والعقلية، وبما لا يستطيعه البشر من ذلك، وفي القرآن من ذلك ما لم يأت به نبي قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولم ينزل به كتاب، وأصح الأدلة العقلية التي جاء بها الخلق وغيرهم لإثبات وجود الله موجودة في القرآن بأيسر الطرق. ولو أن «ديكارت» هداه الله وقرأ القرآن(٦٧) وكان متجرِّدًا لعرف من الحقائق، ومن أدلة العقول ما يكفيه ويشفيه، ولو عرف ذلك علماء الغرب لخرجوا مما هم فيه من التِّيه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومن وجد من هذه الأمة محتاجاً إلى شيء غير ما جاء به الرسول، فلضعف معرفته واتباعه لما جاء به الرسول، مثل كثير منهم من يقول: إنهم محتاجون إلى حكمة فارس والروم والهند واليونان وغيرهم من الأمم.. ولا تجد من يقول إنه محتاج إلى غير آثار الرسول إلا من هو ضعيف المعرفة والاتباع لآثاره، وإلا فمن قام بما جاء به الكتاب والسنة: أشرف على علم الأولين والآخرين وأغناه الله بالنور الذي بعث به محمداً عما سواه.

قال الله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[المائدة: ١٥ – ١٦]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[الحديد: ٢٨ – ٢٩])[٦٨].

ويقول مبينًا اشتمال الوحي على الأدلة العقلية على مسائل الإلهيات: (ما عليه سلف الأمة أهل العلم والإيمان؛ من أن الله سبحانه وتعالى بين من الأدلة العقلية التي يحتاج إليها في ذلك العلم ما لا يقدر أحد من هؤلاء قدره، ونهاية ما يذكرونه جاء القرآن بخلاصته على أحسن وجه، وذلك كالأمثال المضروبة التي يذكرها الله في كتابه التي قال فيها: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾[الزمر: ٢٧]؛ فإن الأمثال المضروبة هي الأقيسة العقلية، سواء كانت قياس شمول أو قياس تمثيل، ويدخل في ذلك ما يسمونه براهين، وهو القياس الشمولي المؤلف من المقدمات اليقينية)[٦٩].

ويُسفِّه «ديكارت» طريقة فلاسفة العصور الوسطى، وكونهم يستصعبون الأدلة العقلية التي بهذا الشأن على وجود الله بسبب أنهم كما يقول: (لا يرفعون عقولهم قط إلى ما فوق

الأشياء المحسوسة، وأنهم تعودوا ألا يعتبروا شيئا من الاشياء إلا إذا تخيلوا؛ وهذه طريقة في التفكير خاصة بالأشياء المادية)[٧٠].

وقد جعل ديكارت من أهم وظائفه الرد على من أنكر وجود الله، يقول عن هدفه في تأليف كتابه (التأملات) أنه إجابة دعوة الكنيسة في إظهار أقصى ما تملكه العقول في الرد على منكري تميز النفس عن البدن، وبقائها بعد فناء الجسد، وجعله أيضا رد على منكري وجود الله[٧١]. ويقول في «المقال»: (ليس خطأ بعد خطأ الجاحدين لله، وهو خطأ أعتقد أنني دحضته دحضًا كافيًا)[٧٢]. لذلك ذكر أدلة كثيرة على وجود الله تعالى، ويرى (أن أغلب الحجج التي أوردها كثير من فطاحل المفكرين في هاتين المسألتين، هي في مرتبة البراهين إذا فهمت على الوجه الصحيح، وأنه يكاد يكون من المستحيل إيجاد حجج جديدة) لكنه يسعى للبحث عن أحسن هذه الحجج وعرضها في ترتيب واضح متين؛ ليظهر للناس أنها براهين صحيحة[٧٣].

فقد سُبق إلى أدلته على وجود الله تعالى كما نبه على ذلك، لكنه عرضها بأسلوب آخر مغاير لأساليب من سبقه، يقول مهدي فضل الله: (يستخدم ديكارت للبرهنة على وجود الله منهجاً مغايراً لكل مناهج الفلاسفة السابقين عليه؛ كان الفكر الفلسفي قبل ديكارت يحاول إثبات وجود الله عن طريق إثبات وجود العالم الخارجي أولاً، والاستناد عليه. أما ديكارت، فإنه بعدما أثبت وجود أنيّته، بأنه كائن أو جوهر مفكر؛ ووجد في نفسه أفكاراً فطرية لا مجال للشك فيه، منها فكرة «الكامل اللامتناهي»، سلك مسلكاً مغايراً لكل الفلاسفة القدامى، وقام يثبت وجود الله عن طريق براهين ثلاثة كل منها كاف بحد ذاته للاستدلال على وجود الله)[٧٤].

وذكر هنا مهدي فضل الله وغيره أنها ثلاثة براهين، لكن بقراءة كلام ديكارت من سائر كتبه يظهر أنها أكثر من ذلك كما سأذكر هنا بإذن الله.

وخلاصة أدلة ديكارت مع ذكر ما في بعضها من ملاحظات ما يلي:

**الدليل الأول**: ويسمى بالدليل الأنطولوجي(٧٥)، وهو إثباته كمال الله، وكونه تعالى له جميع الكمالات؛ وبما أن الوجود كمال إذن فالله موجود، يقول «ديكارت»: ([أنا] في الحقيقة مضطر إلى التسليم بأن الله موجود؛ بعد ان افترضت أنه حاصل على أنواع الكمال جميعها، ما دام الوجود واحدًا منها. وهذه الضرورة كافية –متى تبينت أن الوجود كمال– في أن تحملني على أن استنتج أن هذا الموجود الأول الأعلى موجود حقا)(٧٦).

وخلاصة هذا الدليل كما يلي:

١– الله تعالى له كل كمال. ٢– الوجود كمال. ٣– فالله الأعلى موجود(٧٧).

وقد استدرك الشيخ مصطفى صبري على هذا الدليل وأنه لا يصلح ردًّا على من أنكر وجود الله، لكنه يصلح لمن يثبت وجود الله، يقول الشيخ: (أما الذي لا يعرف وجود الله، ويريد أن يعرفه من كونه جامع الكمالات، أو الذي يعرف وجوده، و يريد إثباته لمن لا يعرفه بدليل الكمال الجامع، فيقال له: إن سندك هذا في إثبات وجود الله قضية موجبة، تتوقف صحتها منطقياً على وجود موضوعها(٧٨)، الذي أنت بصدد إثبات هذا المدعى، فتحتاج في تصحيح دليلك إلى مراجعة دعواك، و هي المصادرة على المطلوب، المعروف بطلانها عند العلماء)(٧٩). وهو استدراك ظاهر الصحة، والله أعلم.

**الدليل الثاني**: وهذا الدليل بعضهم أدرجه تحت الأول إلا أن المتأمل يجد فرقاً بينهما؛ لأن الأول إثبات الكمال لله من غير استدلال عليه بشيء، سوى الفطرة والضرورة، وهذا استدلال على الكمال بوجود النقص في المخلوق. وخلاصة هذا الدليل أن «ديكارت» جعل كونه شاكًا دليل على نقصه، يقول: (لما فكرت في شكوكي، وأن مؤدى هذا أن ذاتي لم تكن تامة الكمال؛ لأنني تَبيَّنتُ أن المعرفة كمال أكبر من الشك، رأيت أن أبحث أني تعلمت أن أفكر في شيء أكمل مني)(٨٠)، فتوصل بهذا إلى ضرورة وجود موجود وجوده أكمل من وجوده، وهذه الفكرة وهي وجود ذات أكمل من وجود المخلوق، يرى أنه لا يمكن استمدادها من العدم، يقول: (لأن استمداد تلك الفكرة من العدم أمر جلي

الاستحالة. إذن فأنا لا أقدر أيضًا أن استمد هذه الفكرة من نفسي، وعلى ذلك بقي أن تكون هذه الفكرة قد ألقيت إلي من طبيعة هي في الحقيقة أكبر مني كمالًا، بل ولها من نفسها كل الكمالات التي أستطيع أن أتصورها، وإذا أردت التعبير بكلمة واحدة عن تلك الطبيعة فإن المراد بها الله.. أنا تابع له، ومن لدنه حصلت على كل ما هو لي)[٨١].

وهذا دليل صحيح.

**الدليل الثالث**: دليل «الضرورة إلى خالق» في قول «ديكارت»: (لو كنت خالق وجودي لكنت منحت نفسي جميع الكمالات التي تنقصني، والتي لدي فكرة عنها؛ لأن خلق هذه الكمالات التي ليست إلا أحوالًا للجوهر أسهل من خلق الجوهر نفسه)[٨٢]. ويقول: (لو كنت مستقلا عن كل شيء سواي، وكنت أنا نفسي خالق وجودي، لما كنت أشك في شيء أو أشتهي شيئا، ولما كنت بالإجمال مفتقرا إلى أي كمال، لأني كنت أمنح نفسي كل كمال يخطر ببالي، وأكون حينئذ إلها)[٨٣].

وهذا يختلف عن الدليل الذي قبله أيضاً؛ لأن الذي قبله يتكلم عن وجود فكرة الموجود الكامل، وهذا يتكلم عن ضرورة وجود الكامل؛ لأن النقص في المخلوق يستلزم وجود الخالق، فالفقير محتاج للغني.

وهذا الدليل ممكن يستنبط من عموم قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[الطور: ٣١-٣٥].

**الدليل الرابع**: «دليل قياس الأولى»، يقول «ديكارت»: (بقدر ما تتصور من الكمال في شيء، ينبغي أن نعتقد أن علته لا بد أن تكون أوفر منه كمالًا)[٨٤]، وهذا صحيح لأن فاقد الشيء لا يعطيه، وواهب الكمال أولى به، فلله المثل الأعلى، وقد قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾[النحل: ٦٠]. وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[الروم:٢٧].

**الدليل الخامس**: ويسميه بعض الباحثين مثل «فيشر» بـ«الدليل الإنساني»[٨٥]، وهو وجود (فكرة وجود الله) نفسها، يقول «ديكارت»: (فكرة موجود كامل إطلاقًا وهي فكرة نجدها فينا تشمل قدرًا من الحقيقة الموضوعية، أي تشارك بالتصور في قدر من درجات الوجود والكمال بحيث يلزم أن تصدر عن علة كاملة على الإطلاق. وهذا ما أوضحته بإيراد التشبيه بآلة في غاية البراعة والإتقان، ترد فكرتها على ذهن صانع ما، فإنه كما أن ما لهذه الفكرة من إتقان موضوعي، لابد له من علة معينة، إما أن تكون علم ذلك الصانع، أو علم واحد غيره تلقى هو عنه تلك الفكرة.

فكذلك يمتنع بالنسبة إلى فكرة الله التي فينا ألا يكون الله ذاته علة لها)[٨٦].

ويقول: (ما دمنا نجد في أنفسنا فكرة إله أو موجود كامل على الإطلاق، فيجوز لنا أن نبحث عن العلة التي أوجدت تلك الفكرة فينا، ولكن بعد التفاتنا إلى ما تمثله لنا من عظيم الكمالات؛ نجد أنفسنا مضطرين إلى الإقرار بأنها إنما جاءت إلينا من موجود كامل جدًّا، أي: من إله هو موجود حقًّا؛ لأنه ليس من البيِّن فقط بالنور الفطري أن العدم لا يمكن أن يكون موجدًا لشيء مهما يكن، وأن الأكمل لا يمكن أن يكون ناتجًا عن الأقل كمالًا أو تابعًا له؛ بل لأننا نرى أيضا بهذا النور نفسه أن من المحال أن يكون لدينا فكرة أو صورة لأي شيء ما لم يكن في أنفسنا أو خارج أنفسنا أصل يحوي بالفعل جميع ما نتمثله بتلك الفكرة من كمالات، ولكن من حيث إننا نعلم أننا عرضة لكثير من النقص، وأننا لا نملك هذه الكمالات المطلقة التي نتمثلها، فيلزمنا أن نستنتج أنها موجودة في طبيعة مختلفة عن طبيعتنا، بالغة غاية الكمال، أي: هي الله، أو على الأقل أنها كانت في الله من قبل[٨٧]، وبما أنها لامتناهية فلا بد أنها لا تزال قائمة فيه)[٨٨].

ويقول: (متى تصور الوجود الضروري الأبدي متضمنا في فكرته عن الوجود الكامل إطلاقًا، لزم أن يستنتج أن هذا الموجود الكامل بإطلاق موجود حقًّا)[٨٩].

ويظهر لي أن هذا دليل الفطرة نفسه، فهي فطرة الله التي فطر الناس عليها.

**الدليل السادس**: «دليل البقاء»، وهو من القيومية، والبعض يسمية «دليل الخلق المستمر»[٩٠]، وفيه نظر؛ لأن القيومية والإبقاء تكون بعد الخلق، وخلاصة الدليل أن بقاء الإنسان إلى أجل يحتاج إلى قوة وقدرة من غيره، ويجب أن تكون موجودة، وأن تكون هي باقية لا تفنى، كما أن وجود المخلوق محتاج إلى خالق، يقول «ديكارت»: (آجالنا في حياتنا كافية وحدها لإثبات وجود الله؛ ما أظن أن أحداً يساوره الشك في حقيقة هذا التدليل إذا التفت إلى طبيعة الزمان أو أجل الإنسان في الحياة؛ ذلك لأنه لما كان من طبيعة الزمان أن لا تعتمد أجزاؤه بعضها على بعض، ولا يجتمع بعضها مع بعض أبدًا. فليس يلزم من وجودنا الآن أن نكون في الزمان الذي يليه، وما لم تكن العلة نفسها التي أوجدتنا مستمرة في إيجادنا، أي: حافظة لبقائنا. ومن الميسور أن نعلم أننا لا نملك قوة تكفل لنا الاستقرار في الوجود أو حفظه علينا لحظة واحدة، وأن القادر على إبقائنا وحفظ وجودنا خارج ذاته؛ لا بد أنه قادر على حفظ بقائه هو ذاته، وهو خليق أن لا يفتقر إلى من يحفظه ويبقيه، ذلكم هو الله)[٩١].

وهو دليل صحيح.

**الدليل السابع**: دليل امتناع التسلسل في العلل[٩٢]، وهو دليل صحيح مشهور، يقول «ديكارت»: (من حيث أني شيء يفكر، وفي نفسي فكرة عن الله، كائنة ما كانت علة وجودي، فلا بد من التسليم بأن هذه العلة هي أيضاً شيء يفكر؛ وأنها مالكة لفكرة جميع الكمالات التي أنسبها إلى الله. ثم يصح أن نبحث من جديد عن أصل هذه العلة ووجودها، وهل هما من ذاتها أو من علة أخرى؛ لأنه لو كان وجودها من ذاتها للزم مما قدمت أن تكون هذه العلة هي الله؛ لأنها لما كانت مالكة لصفة الوجود من ذاتها، فلا بد أن يكون لها كذلك القدرة على [أن] تملك بالفعل كل كمال تخطر لها فكرته، وبعبارة أخرى لا بد أن تملك جميع صفات الكمال التي أتصورها في الله، أما إذا كان وجودها عن علة أخرى غير ذاتها، فلنا أن نتساءل من جديد، وللسبب عينه عن هذه العلة الثانية: هل وجودها من ذاتها أو من غيرها، ونتدرج حتى نصل أخيراً إلى علة قصوى ستكون هي الله. وجلي جدًّا أنه لا يصح في هذا المقام أن نذهب في تدرج العلل إلى غير نهاية)[٩٣].

**الدليل الثامن:** «دليل الفطرة» يقول «ديكارت» عن فكرة وجود الله: (هذه الفكرة ولدت ووجدت معي منذ خلقت.. والحق أنه لا ينبغي أن نعجب أن الله حين خلقني غرس في هذه الفكرة؛ لكي تكون علامة الصانع مطبوعة على صنعته)(٩٤).

ولا شك أن الله تعالى فطر الناس على توحيده ومعرفته، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الروم: ٣٠].

قال ابن كثير رحمه الله: (فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره، كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُوا بَلَىٰ﴾[ الأعراف: ١٧٢]، وفي الحديث: (إني خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم)(٩٥).

وقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ قال بعضهم: معناه لا تبدلوا خلق الله، فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها. فيكون خبرا بمعنى الطلب، وهذا معنى حسن صحيح. وقال آخرون: هو خبر على بابه، ومعناه: أنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة، لا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك; ولهذا قال ابن عباس، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، وابن زيد في قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ أي: لدين الله.

وقال البخاري: قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾: لدين الله، خلق الأولين: دين الأولين، والدين والفطرة: الإسلام.

[ثم روى البخاري بإسناده عن أبي] هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تُنتَج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء) ؟ ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾(٩٦).

وغالب هذه الأدلة التي ذكرها ديكارت صحيح لا إشكال فيه، وإن كان لا يحتاج سليم الفطرة أن يتعب ذهنه بمثل هذه الأدلة، كما سبق فإنها بدهية لا يتطرق إليها الشك عنده.

ولخَّص «ديكارت» بعض حججه على وجود الله بقوله: (كل قوة التدليل الذي استخدمته هنا لإثبات وجود الله تقوم على التسليم بأن طبيعتي لا يمكن أن تكون ما هي، ويكون في نفسي فكرة إله، ما لم يكن الله موجودًا حقًّا –أقصد هذا الإله عينه الذي فكرته موجودة في ذهني– أي الموجود الحائز لجميع هذه الكمالات السنية، التي قد تخطر لأذهاننا عنها فكرة ضئيلة ولكن دون أن تستطيع الإحاطة بها، هذا الإله المنزه عن كل عيب، المبرأ من شوائب النقص. ويتبين من هذا بيانا كافيا أنه تعالى لا يمكن أن يكون مخادعًا، لأن النور الفطري يرشدنا إلى أن المخادعة إنما تصدر بالضرورة عن نقص أو عيب)(٩٧).

وكما أثبت ديكارت وجود الله فهو يثبت انه تعالى لا شريك له في وجوده وصفاته، يقول: (لا يمكنني أن أتصور إلهين أو أكثر على شاكلته، وإذ سلمنا بأن ثمة إلها هو الآن موجود، فإني أرى بوضوح أنه لابد أن يكون موجودًا منذ الأزل، ولابد أن يكون موجودا إلى الأبد، وأخيرًا أتصور في الله صفات أخرى كثيرة لا أستطيع أن أنقص أو أن أغير منها شيئا)(٩٨).

وهذا حق، يقول تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]. وأما كونه تعالى موجوداً منذ الأزل، ولا بد أن يكون موجوداً إلى الأبد، فيؤيده العقل القطعي، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[الحديد:٣]، وقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (أنت الأَوَّلُ فلَيس قَبلَكَ شَيءٌ، وَأَنتَ الْآخرُ فلَيسَ بَعدَكَ شَيءٌ، وَأَنتَ الظَّاهرُ فلَيسَ فَوقَكَ شَيءٌ، وَأَنتَ الْبَاطنُ فلَيسَ دونَكَ شَيءٌ)(٩٩).

كما أن ديكارت رد أيضًا على منكري اليوم الآخر(١٠٠).

## الخاتمة:

نخرج من هذا البحث بحمد الله بنتائج، أهمها:

١- «ديكارت» يعتبر (أبو الفلسفة الحديثة) وهذا يعني أن له الأثر الأكبر على جل الفلاسفة من بعده؛ فدراسة موقفه من الدين ونقد ذلك في ضوء النقل والعقل الصحيحين في غاية الأهمية.

٢- يحمد لديكارت موقفه من الدين، وتعظيمه للدين، ورده على الملحدين، وعزله كلام أرسطو عن الدين، لكن ليته عزل ما أدخل في الدين من الأباطيل الأخرى من غير أرسطو.

٣- لم يفرق «ديكارت» بين ما يحار فيه العقل، وما يحيله العقل مما يأتي به الدين، فيستحيل أن يأتي في الدين الحق ما يحيله العقل، لكن يأتي الدين بما يحار فيه العقل.

٤- تمسُّك «ديكارت» بالدين النصراني مع منهجه العقلي، سبَّب تناقضاً، فاضطر «ديكارت» لإخراج الدين عن التفكير العقلي، مما سبب الإلحاد والكفر بالكنيسة لمن جاء بعده، بسبب النفور من التناقض، وعُدَّ ديكارت عدوًّا للكنيسة وسبباً لهذا الإلحاد. والحق مع ما في منهج «ديكارت» من ضعف أن ما في الكنيسة من محالات وخرافات هو سبب ذلك.

٥- تعظيم ديكارت للدين هو تعظيم لدين النصارى، وهو في مقابل طغيان الإلحاد، ومعلوم أنه إذا كان انتصار أهل الكتاب على الفرس يفرح به المؤمنون كما في سورة الروم، فانتصار النصرانية على الإلحاد أولى. لكن ليس دين ديكارت هذا مما ينفعه في الآخرة، أو يخرجه من الكفر والشرك؛ لأنه لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، ويتبع شرعه، وقد بلغه الإسلام والقرآن كما سبق إثباته.

٦- أوروبا في حاجة للإسلام للخروج من التيه والتناقض والحيرة والشك. فلا علاج لهم إلا هذا.

٧- الدين ضرورة للخلق، ولا يمنع التقدم في العلوم، لذلك دافع عنه «ديكارت» الذي اخترع الهندسة التحليلية، وأبدع في الرياضيات، وأثبت أن أدلة وجود الله أعظم يقيناً من أدلة الهندسة والرياضيات؛ فحبذا نشر كلامه عن الدين في أوساط العلمانيين والملاحدة في الشرق والغرب.

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

## الهوامش والتعليقات:

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون ص: ٥٣٥.

(٢) انظر حول ذلك: كتاب «المدخل إلى دراسة التاريخ والأدب العربيين» د. نجيب محمد البهبيتي، و«المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت» د.محمود حمدي زقزوق، وبحثي (منهج رينيه ديكارت عرض ونقد في ضوء النقل والعقل) فقد أفردت مبحثا لهذه المسألة، وهو بحث يتكلم عن منهج ديكارت الشكي، ولا يتعرض لمسألة الدين إلا عرَضا.

(٣) انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة ص١٨٩.

(٤) فرانسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦) فيلسوف ورجل دولة وكاتب إنجليزي، معروف بأثره في مسار الثورة العلمية عن طريق فلسفته الجديدة القائمة على «الملاحظة والتجريب». من الرواد الذين انتبهوا إلى غياب جدوى المنطق الأرسطي الذي يعتمد على القياس. انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة ص١٤٥.

(٥) انظر: تاريخ الفلسفة الغربية لبرتراندرسل الكتاب الثالث ص١٠٤ وما بعدها، موسوعة الفلسفة لبدوي (٤٨٨/١)، الموسوعة الفلسفية المختصرة ص١٨٩، تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم ص٦٤.

(٦) جورج فلهلم فريدريك هيجل (١٧٧٠-١٨٣١) فيلسوف ألماني ولد في شتوتغارت في المنطقة الجنوبية الغربية من ألمانيا. يعتبر هيغل أحد أهم الفلاسفة الألمان، حيث يعتبر أهم مؤسسي المثالية الألمانية في الفلسفة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة ص ٥١٢.

(٧) انظر: التأملات في الفلسفة الأولى لديكارت، د.عثمان أمين ص٧٧. وشلنج فيلسوف ألماني، وهو فريدريك شيلنغ ولد عام ١٧٧٥ وتوفي في عام ١٨٥٤ ويعد أحد الكبار الذين صاغوا النظرة الديالكتيكية لتطوير المجتمع. وفي عام ١٧٩٨ أصبح استاذا لد فلسفة في جامعة ايينا. جعل فلسفة الطبيعة هي أحد اهتماماته لينتقل بعد ذلك لفلسفة الروح. انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة ص٢٩٤.

(٨) برتراند أرثر ويليام راسل (١٨٧٢ - ١٩٧٠)، فيلسوف وعالم منطق ورياضي ومؤرخ وناقد اجتماعي بريطاني. انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة ص٢١٠، موسوعة الفلسفة (٥١٧/١).

(٩) تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الثالث: الفلسفة الحديثة ص١٠٤.

(١٠) بواسطة: المذاهب الفلسفية العظمى في العصور الحديثة، د.محمد غلاب، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٨م، ص٦٨- ٦٩.

(١١) تاريخ الفلسفة الحديثة ص٦٦.

(١٢) ص١٨٩.

(١٣) انظر: مقدمة «مقال عن المنهج» ص٢٧، تاريخ الفلسفة الحديثة ص٩٧.

(١٤) ديكارت والعقلانية ص٩.

(١٥) أفردت لذلك مبحثاً في بحثي الآخر عن ديكارت (منهج رينيه ديكارت) وهو المبحث الأول من الفصل الأول.

(١٦) أي إيمان الكنيسة المزيف المتعارض مع الحقائق كما بين الشيخ نفسه في الكتاب نفسه (٢/ ٢١٥) –والإيمان في الكنيسة يعني التسليم غير المبرهن، ومنه الثالوث المقدس والتجسد وغيره من معتقداتهم الباطلة !!– لا اطراح وجود الله وتعظيم الدين والرد على الملاحدة الذي جعله ديكارت من أهم وظائفه.

(١٧) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين (٢/ ٢١٥).

(١٨) مقال عن المنهج ص١٢٠.

(١٩) مقال عن المنهج، ص١٦٨.

(٢٠) يقول المحقق معلقا هنا: (يقصد بالبعض غاليليه، وبالأشخاص الذين يجلهم رجال الدين الذين كانوا يختصون بمراقبة الحركة الفكرية، ولقد أذاع غاليليه في سنة ١٦٣٢ كتابه الذي يقول فيه بدورة الأرض، فدانته محكمة التفتيش برومة، ولقد أتم ديكارت كتابه العالم سنة ١٦٣٣) حاشية: مقال عن المنهج، ص١٨٩.

(٢١) مقال عن المنهج، ص١٨٩.

(٢٢) بترجمة أميل خولي بعنوان (العالم أو كتاب النور)، دار المنتخب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ– ١٩٩٩م.

(٢٣) انظر: مبادئ الفلسفة ص٤٣– ٤٥.

(٢٤) ص٤٧.

(٢٥) وعنوانه كما هو على غلافه (التأملات في الفلسفة الأولى) ترجمه إلى العربية وقدم له وعلق عليه: عثمان أمين.

(٢٦) مبادئ الفلسفة ص٤٣– ٤٥.

(٢٧) مبادئ الفلسفة ص٤٣– ٤٥.

(٢٨) طبع بترجمة وتقديم وتعليق: جورج زيناتي. دار المنتخب العربي.

(٢٩) التأملات في الفلسفة الأولى ص٤٤.

(٣٠) التأملات في الفلسفة الأولى ص١٧٨، ٢٠٦.

(٣١) التأملات في الفلسفة الأولى ص١٥٥.

(٣٢) التأملات في الفلسفة الأولى ص٦٠.

(٣٣) مقال عن المنهج، ص١٦٠.

(٣٤) انظر: علاقة العقل بالدين عند ديكارت ص٣٤.

(٣٥) انظر: مقال عن المنهج، ص١٤٩، التأملات في الفلسفة الأولى، ص٦٦. وانظر بحثي (نقد منهج ديكارت).

(٣٦) التأملات ص١٢٩.

(٣٧) التأملات في الفلسفة الأولى ص١٧٨.

(٣٨) لديكارت كلام كثير وعميق حول القضاء والقدر لذلك قد أفردته ببحث بعنوان: (نقد عقيدة ديكارت في القضاء والقدر في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة) يسر الله إتمامه. وأذكر هنا ما يتعلق بما نقلت: فيكون ''ديكارت'' هنا مصيباً إذا قصد نفي عن الله أن يُضلَّ من لا يستحق الضلال، ولكن ليس من المحال أن يُضِلَّ الله بعض خلقه، أو أكثرهم، ممن يستحق ذلك، بل هو تعالى على كل شيء قدير، كما قال تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النحل:٩٣]، لكن المحال عليه تعالى أن يُضلَّ أحدًا بغير سبب منه يستحق به هذا الإضلال، مع قدرته على ذلك لكمال عدله وتنزهه عن الظلم، أو يُضِلَّ من اتبع الرسل، كما دلت على ذلك أدلة الوحي، وهو تعالى أعلم بمن يستحق فضله.

ومن صفات الكمال الخبرية التي أخبرنا بها القرآن كونه تعالى يخادع، لكن من يخادعه، فتكون صفة المخادعة ثابتة لله تعالى ولكن في مقابلة المخادع، فلا يصح أن يوصف تعالى بها وصفًا مطلقًا، مثلها مثل صفات الكيد والمكر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢]. لذلك يصح كلام ديكارت إذا نفي الخداع عن الله عمن لا يستحق ذلك.

(٣٩) التأملات ص٧٧.

(٤٠) التأملات ص٨٠، وانظر: مبادئ الفلسفة ص٣٩.

(٤١) مبادئ الفلسفة ص٣٩.

(٤٢) التأملات في الفلسفة الأولى ص٢٠٧.

(٤٣) التأملات في الفلسفة الأولى ص٢٠٧.

(٤٤) التأملات، ص٢٢١.

(٤٥) التأملات ص٥٩. وانظر منه ص٢١٨.

(٤٦) مبادئ الفلسفة ص٥٩.

(٤٧) الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت ص١٨٥.

(٤٨) مقال عن المنهج، ص١٤٩. وقد أفردت لذلك مبحثا خاصا في بحثي (نقد منهج ديكارت).

(٤٩) التأملات ص١٠١.

(٥٠) مقال عن المنهج ص١١٧.

(٥١) مقال عن المنهج ص١٢٢.

(٥٢) التأملات في الفلسفة الأولى ص٤٦.

(٥٣) مقال عن المنهج، ص١٤٤.

(٥٤) مقال عن المنهج، ص١٣٧.

(٥٥) مقال عن المنهج، ص١٣٨.

(٥٦) مبادئ الفلسفة ص٦٨.
(٥٧) مبادئ الفلسفة ص٦٨.
(٥٨) مبادئ الفلسفة ص١٠٠.
(٥٩) حاشية مبادئ الفلسفة ص٦٨.
(٦٠) خواطر بليز باسكال ص٣٤.
(٦١) انظر النقول السابقة: الفلسفة الحديثة عرض ونقد ص١٥٢- ١٥٣.
(٦٢) الفلسفة الحديثة عرض ونقد ص ١٥٣.
(٦٣) موقف العقل والعلم (٢١٥/١).
(٦٤) انظر: «أدلة الفلاسفة على وجود الله — دراسة نقدية-»، للكتور عبدالكريم نوفل عبيدات، مجلة جامعة دمشق (المجلد التاسع، العدد الأول- ٢٠٠٣).
(٦٥) التأملات في الفلسفة الأولى ص٣٩.
(٦٦) انظر: التأملات في الفلسفة الأولى ص٤٠.
(٦٧) بلوغ الاسلام لديكارت لا شك فيه، ومما يبين ذلك قوله عن المنطق الأرسطي: (أن أقيسته وأكثر تعليماته الأخرى هي أدنى من أن تنفع في أن نشرح للغير ما نعرف من الأمور، لا في تعلم تلك الأمور بل هي كفَنّ «لُلْ»، ينفع في أن نتكلم فيما نجهل من غير تمييز) مقال عن المنهج ص٢٨، يقول المحقق مترجماً لـ(لل) الوارد في كلام ديكارت هذا: (هو رايموند لل، العالم الفيلسوف الكيماوي الرحالة المبشر، وهو من أعجب شخصيات العصور الوسطى، ولد في بالما سنة١٢٣٥، ومات مرجوماً في ١٣١٥. وقد تعلم علوم العرب، لغتهم في الأندلس كي يدعو المسلمين إلى المسيحية، ويظهر أن جرأته وحماسه الفائقين كانتا تشفعان له في غض أمراء المسلمين عنه والتسامح معه. وله مؤلفات كثيرة جدا، يقول البعض أنها تبلغ أربعة آلاف كتاب) فـ(لل) هذا من أشهر ما نقل في ترجمته دعوة المسلمين إلى النصرانية، وكان ديكارت يعرف ترجمته جيدا، لما وصفه به من وصف في كلامه السابق. وكذا ثبت وجود نسخة من كتاب الغزالي (المنقذ من الضلال) باللغة اللاتينية في مكتبة ديكارت، وعليه تعليق بخط ديكارت. انظر: وانظر: «المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت» ص:١٢، المدخل إلى دراسة التاريخ والأدب العربيين ص٣٢٧- ٣٢٨. ثم إن جهل العلم بالإسلام في فرنسا في ذلك الوقت على أمثال ديكارت بعيدٌ جدًّا، خاصة إذا علم أن فرنسا منا تنطلق طليعة الحروب الصليبية منذ العصور الوسطى. ثم إن فرنسا جارة للأندلس فهم أعرف من غيرهم بحضارة المسلمين هناك، بل كانت أولى الغزوات الإسلامية لفرنسا كانت سنة ٩٦هـ في أيام طارق بن زياد، وعدد المسلمين في فرنسا أيام ''ديكارت'' بالملايين. يرجع إلى كتب تاريخ الإسلام في الأندلس وغيرها.
(٦٨) الصفدية (٢٦٠/١-٢٦١).
(٦٩) درء التعارض (٢٨/١).
(٧٠) مقال عن المنهج، ص١٦١.

(٧١) التأملات ص٥٨.
(٧٢) مقال عن المنهج، ص١٨٧.
(٧٣) التأملات في الفلسفة الأولى ص٤٢.
(٧٤) فلسفة ديكارت ومنهجه ص١٣٠.
(٧٥) انظر: فلسفة ديكارت ومنهجه ص١٣٠، علاقة العقل بالدين عند ديكارت ص٣٣.
(٧٦) التأملات، ص٢١٥- ٢١٦.
(٧٧) انظر: حاشية التأملات ص٢١٦.
(٧٨) وهو وجود الله.
(٧٩) موقف العقل والعلم (٢/ ٢٢٧).
(٨٠) مقال عن المنهج، ص١٥٥.
(٨١) مقال عن المنهج، ص١٥٥ -١٥٦.
(٨٢) التأملات ص١٢٦.
(٨٣) التأملات ص١٥٧.
(٨٤) مبادئ الفلسفة ص٦٢.
(٨٥) انظر: فلسفة ديكارت ومنهجه ص١٣٠.
(٨٦) التأملات في الفلسفة الأولى ص٤٢. وانظر ص: ١٢٣- ١٢٤، ١٥٤.
(٨٧) يفهم من كلام ديكارت وصف الله بالكمال أزلا وابداً، وهذا المعنى حق.
(٨٨) مبادئ الفلسفة ص٦٣.
(٨٩) مبادئ الفلسفة ص٦١.
(٩٠) انظر: فلسفة ديكارت ومنهجه ص١٣٠.
(٩١) مبادئ الفلسفة ص٦٥- ٦٦.
(٩٢) التأملات ص١٦٠- ١٦١.
(٩٣) التأملات ص١٦٠- ١٦١.
(٩٤) التأملات ص١٦٣.
(٩٥) رواه مسلم (٢٨٦٥).
(٩٦) رواه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).
(٩٧) التأملات، ص١٦٤.
(٩٨) التأملات، ص٢١٧.
(٩٩) رواه مسلم (٢٧١٣).
(١٠٠) مقال عن المنهج، ص١٨٧.

# المصادر والمراجع

- «أدلة الفلاسفة على وجود الله -دراسة نقدية-»، للدكتور عبدالكريم نوفل عبيدات، مجلة جامعة دمشق (المجلد التاسع، العدد الأول- ٢٠٠٣).
- تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٩.
- تاريخ الفلسفة الغربية لبرتراندرسل الكتاب الثالث:الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمد فتحي الشنطي، الدار العامة المصرية للكتاب، ١٩٧٧.
- التأملات في الفلسفة الأولى، ترجمه إلى العربية وقدم له وعلق عليه: عثمان أمين، تصدير: مصطفى لبيب، المركز القومي للترجمة، ١٢٩٧.
- تفسير القرآن العظيم، اسم المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر - بيروت — ١٤٠١.
- الجامع الصحيح المختصر، اسم المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.
- خواطر بليز باسكال، ترجمه إلى العربية أدوار البستاني، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، ١٩٧٢.
- دراسات في الفلسفة الحديثة، محمود حمد زقزوق، دار الفكر العربي، القاهرة، الثالثة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ديكارت والعقلانية، جنفياف روديس لويس، ترجمة عبده الحلو، منشورات عويدات، بيروت- باريس، الرابعة ١٩٨٨م.
- ديكارت، تأليف: الدكتور نجيب بلدي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.
- صحيح مسلم بشرح النووي، اسم المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢، الطبعة: الطبعة الثانية.
- علاقة العقل بالدين عند ديكارت، إعداد: قانة مسلمة، رسالة ماستر في جامعة قاصدي مرباح ورقلة. موجودة على الرابط:

https://bu.univ-ouargla.dz/master/pdf/Gana_Moslima.pdf?idmemoire=1531.

- الفلسفة الحديثة عرض ونقد، أحمد السيد رمضان، مكتبة الإيمان، المنصورة، أمام جامعة الأزهر.
- فلسفة ديكارت ومنهجه دراسة تحليلية ونقدية، د.مهدي فضل الله، دار الطليعة، بيروت، الطبعة (٣) ١٩٩٦.
- الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت. نظمي لوقا، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة ٢٠٠٣م.
- مبادئ الفلسفة، رينيه ديكارت، ترجمة: عثمان أمين، دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- المدخل إلى دراسة التاريخ والأدب العربيين. د. نجيب محمد البهبيتي، دار الثقافة، المغرب الطبعة الثانية ١٤٠٤- ١٩٨٥.
- المذاهب الفلسفية العظمى في العصور الحديثة، د.محمد غلاب، دار إحياء الكتب العربية.
- مقال عن المنهج، رينيه ديكارت، ترجمة: محمود محمد الخضيري، الطبعة الثانية، راجعها وقدم لها: محمد مصطفى حلمي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٩٦٨.
- مقدمة ابن خلدون، طبعة دار الفكر.
- المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، محمود حمدي زقزوق، دار المعارف.
- موسوعة الفلسفة، د. عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة(١) ١٩٨٤.
- الموسوعة الفلسفية المختصرة، فؤاد كامل وآخرين، دار القلم، بيروت.
- موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، الشيخ مصطفى صبري، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.